University of Tehran Press

Arabic Language and Literature

Online ISSN: 2423-6187

Home Page: https://jal-lq.ut.ac.ir

The Effectiveness Of Language In The Sophi Discourse Of Omar Abu Al-Haija Case Study: “Narrative Of The Poem Family” Collection

Hosein Elyaai Mofard[1] | Zainab Ghasemi Asal[2*]

1. Department of Arabic Language and Literature, Lorestan University, Khorramabad, Iran. Email: elyasi.h@lu.ac.ir
2. Corresponding Author, Department of Arabic Language and Literature, Farhangian University, Tehran, Iran. Email: z.ghasemiasl@cfu.ac.ir

ARTICLE INFO

Article type:
Research Article

Article History:
Received May 19, 2024
Revised October 04, 2024
Accepted November 26, 2024
Published online December 07 2024

Keywords:
Sophi discourse,
Language,
Narration of the family of the poem.

ABSTRACT

The Sophi discourse and the employment of Sophi symbols represent a kind of escape from reality or a kind of confrontation and an attempt to strip reality of its negatives and problems. The contemporary Arab poet uses this expressive style. He faces his reality and draws his negatives and his distance from the idealism that his delicate and beautiful soul aspires to, or the poet reflects, using vocabulary that belongs to the mystical field, the negatives of reality. value in the current era marked by the era of globalization. Omar Abu Al-Haija is considered one of those poets who made the Sophi poetic discourse their means to strip reality and expose it. This research paper seeks to study the poet's poetry and focus on it by studying and analyzing the approach used in this study, the descriptive and analytical approach. The results indicate that Sophi symbols have an intense presence in the poet's poetry. The poet relied on the components and data of the Sophi lexicon and mixed them with natural symbols of specific significance to confront the painful reality in which he lives and to expose and reveal it. The theme of language has its presence in the Sophi poetic discourse of the poet. The poet touched reality and confronted it with the help of language and based love in confronting reality, its ambiguity, and its rejection of man and the human dream.

Cite this article: Elyaai Mofard, H. & Ghasemi Asal, Z. (2025). The Effectiveness Of Language In The Sophi Discourse Of Omar Abu Al-Haija Case Study: “Narrative Of The Poem Family” Collection. *Arabic Language and Literature*. 20 (4), 381-394. http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.376695.1414

© The Author(s).
Publisher: University of Tehran Press.
DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.376695.1414

مجلة اللغة العربية وآدابها

موقع المجله: https://jal-lq.ut.ac.ir

جامعة طهران

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: ٦١٨٧-٢٤٢٣

فاعلية اللغة في الخطاب الصوفي لـ"عمر أبوالهيجاء"؛ مجموعة «سرد لعائلة القصيدة» أنموذجا

حسين الياسى مفرد[١] | زينب قاسمى اصل[٢*]

١. اللغة العربية وآدابها ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعة لرستان ، خرم آباد ، ايران. البريد الالكتروني: elyasi.h@lu.ac.ir

٢. الكاتبة المسؤولة ، اللغة العربية وآدابها ، جامعة فرهنكيان ، طهران ، ايران. البريد الالكتروني: z.ghasemiasl@cfu.ac.ir

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
علمي

تاريخهای مقاله:
تأريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٠٥/١٩
تأريخ المراجعة: ٢٠٢٤/١٠/٠٤
تأريخ القبول: ٢٠٢٤/١١/٢٦
تأريخ النشر: ٢٠٢٤/١٢/٠٧

الكلمات الرئيسة:
الخطاب الصوفي ،
فاعلية اللغة ،
عمر أبوالهيجاء ،
سرد لعائلة القصيدة.

الملخص

يمثّل الخطاب الصوفي وتوظيف الرموز الصوفية نوعا من الهروب من الواقع المأزوم أو نوعا من المواجهة والمحاولة لتعرية الواقع المؤلم. والشاعر العربي المعاصر باستخدام المفردات التي تنتمي إلى الحقل الصوفي في خطابه الشعري ، يواجه واقعه ويرسم سلبياته وبعده عن المثالية التي تصبو إليها روحه المرهفة الجميلة ،في زمن كان من المتوقع فيه أن يحقق كلّ أحلام الإنسان المعاصر لكن هزيمة الإنسان في حربه مع القوى الداخلية أو بعد الواقع عن مثاليته وطغيان السلبيات فيه ، قلبت الطاولة على الإنسان وصارت الحرب موضوع الخطاب الإنساني وفعل الاستغلال والقتل والتدمير بدون أي مبرر صار فعل بني الإنسان. يعدُّ عمر أبوالهيجاء من هؤلاء الشعراء الذين جعلوا الخطاب الصوفي الشعري وسيلتهم لتعرية الواقع وفضحه ورسم ابعاده وسلبياته في فضاء يتأرجح بين الحلم والواقع وبين الحلم والأمل والخوف من المصير.تسعى هذه الورقة البحثية لدراسة مجموعته الشعرية التي تحمل عنوان: سرد لعائلة القصيدة والمنهج المتبع في هذه الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي وتشير النتائج إلى أن الرموز الصوفية لها حضورها العميق والمكثّف في شعر الشاعر واعتماده علي المكونات والمعطيات من المعجم الصوفي في فضاء شعري حلمي يكرّس فاعلية اللغة في مواجهة سلبيات الواقع وثيمة اللغة لها حضورها المتجذر في الخطاب الصوفي للشاعر وتمثل الكائن الإنساني الحي في شعره تحاورها في مأساته ورحلته ويصل بها مرحلة الصراخ والرفض وهكذا قام الشاعر بملامسة الواقع ومواجهته مستعينا باللغة الملهمة التي توصل الإنسان المعاصر المأزوم إلى شاطي الأمان والحلم واليقظة ودفء الحضور.

العنوان: الياسى مفرد ، حسين و قاسمى اصل ، زينب (٢٠٢٥). فاعلية اللغة في الخطاب الصوفي لـ"عمر أبوالهيجاء"؛ مجموعة «سرد لعائلة القصيدة» أنموذجا. *مجلة اللغة العربية وآدابها* ، ٢٠ (٤) ٣٨١-٣٩٤ .

http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.376695.1414

© المؤلفون.

الناشر: دار جامعة طهران للنشر

DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2024.376695.1414

المقدمة

الخطاب الصوفي الشعري ذات الخصائص المتميزة البارزة والإكثار من الألفاظ والرموز المختلفة التي تنتمي إلى الحقل الصوفي ، محاولة شعرية باللغة المؤسسة علي الرموز والمعطيات من الحقل الصوفي لمواجهة الواقع المزكوم الذي لايتلاءم والمثالية المنشودة التي كان من المتوقع في عصر العولمة أن تتحقق ويتحقق فيه الحلم الإنساني الجميل غير أن الإنسان في هذا الواقع صار ضحية مجموعة من العوامل والأسباب وصارت العلاقة بين الناس علاقة على أساس الصراع والحرب بغية إرضاء الغايات والشهوات والرغبات المدمرة. الشاعر العربي المعاصر يجعل من اللغة الصوفية والمفردات التي تنتمي الى التصوف المرتكز الأساسي لمواجهة هذا الواقع السلبي المرفوض.

يعتمد الشاعر على اللغة الصوفيه بوصفها المرتكز الشعري الأساسي ذات الطاقات الثرية والقوة الدلالية الكثيرة. ترفد الشعر بالقوة والشحنة الدلالية الممتازة. يرتكز عليها الشاعر المعاصر في الصياغة اللغوية لشعره ليرسم بها محنته ومكابدته في هذا الواقع ويرسم بها معاناته وطرح هواجسه وتقلباته كما يعكس الصوفي هواجسه وماهو مكنون فيه من الخوف والقلق والازدواجية المثبتة. نلحظ هذه النزعة الواعية في لغة التصوف لدى الحركة الشعرية الأردنية الحديثة ومن أبرز الشعراء الأردنين "عمر أبوالهيجاء" وهو المعروف في الساحة الشعرية والأدبية بخطابه الصوفي والتجربة الشعرية عنده تجربة خاصة ترتكز على النزعة الصوفية واستخدام المفردات التي تنتمي إلى الحقل الصوفي وتعدُّ لغة الصوف والرموز الصوفية المرجعية الأساسية للتجربة الشعرية عند الشاعر. استثمر الشاعر في قصيدته الموسوم بـ: «سرد لعائلة القصيدة» مجموعة من الرموز والإشارات الصوفية والجديد في الخطاب الشعري للشاعر هو حضور ثيمة اللغة في الفضاء الشعري الصوفي وبتعبير آخر حضور ثيمة اللغة في التشكيل الشعري الذي يستثمر اللغة الصوفية للتعبير عن معاناته وهواجسه والقلق الذي ينتاب كيانه وتمثل اللغة الكائن الإنساني الحي يرافق الشعر في محنته ومكابداته وهي التي تسليه وتعاطفه وتبين له طريقة الخلاص والخروج وهذا هو فاعلية اللغة في فكر الشاعر ووعيه وفي الحقيقة تمثل اللغة وسيلة الشاعر لمواجهة الوضعية المعيشية والثقافية والاجتماعية الراهنة التي يرفضها الشاعر وهو يسعي باستخدام الفضاء الصوفي الشعري وثيمة اللغة لرفض الواقع والتخطيط للمستقبل وبتعبير لم يكن حضور ثيمة اللغة في الفضاء الصوفي محاولة للرفض في شعر الشاعر فحسب بل محاولة لتثبيت البديل والتخطيط المناسب للمستقبل(عبدالغفار عبدالجبار ،٢٠١٢م: ٦٤).

تعد هذه الدراسة محاولة لإستنطاق التجربة الشعرية عند الشاعر وتقصي فاعلية اللغة الصوفية في شعره وفي قصيدة سرد لعائلة القصيدة تحديدا ودراسة الموضوع المحوري والمركزي الذي يعالجه الشاعر في هذا الخطاب الصوفي الشعري ويكرسه في تشكيلاته الشعرية التي ترتكز علي اللغة الصوفية وتجسّد فاعلية اللغة في معالجة الواقع الإنساني المأزوم كما يرسمه الشاعر وهدفنا من هذه الرحلة البحثية الكشف والإبانة عن فاعلية اللغة في هذا الخطاب الشاعر وموقفه من اللغة وبلوغ المعرفة بفاعلية اللغة الصوفية والمعطيات الصوفية في شحن النص الشعري عند الشاعر بالدلالة والإيحاء و ماتكمن فيه ضرورة البحث هوأن البحث يكسب فرادته من أنه يعد المحاولة الأولى في دراسة شعر هذا الشاعر الذي لم يلق حظه في ميدان الدراسة والمقاربات الأدبية الحديثة هذا وثيمة اللغة في شعره لها الحضور الرؤيوي ورسم فاعلياته في المنطقة الشعرية التي تتكون بالمعطيات الصوفية محاولة إبداعية من الشاعر يفردها عن غيره من شعراء جيله.

أسئلة البحث

وما نصبو إليه في هذا المشوار البحثي هو الإجابة عن مجموعة من الأسئلة الأساسية التي تدفعنا للخوض في غمار هذا البحث العلمي منها:

وماهي الفكرة المركزية التي يبثها الشاعر بخلق التفاعلية بين اللغة والرموز الصوفية؟

ما هي فاعلية اللغة كما يرسمه الشاعر في تشكيلاته الشعرية؟

واسئلة اخرى .هذا والخطاب الشعري للشاعر لم يلق حظه من البحث والدراسة وخاصة في ايران مما يزيد هذا البحث العلمي أهمية وضرورة ويعدّ هذه الورقة البحثية المحاولة العلمية الأولي التي تحمل عبء هذه المهمة لدراسة شعر

الشاعر والكشف عن خصائص الخطاب الشعري والصوفي عنده وتبيان موضوعاته والرؤية الشعرية للشاعر وفق المنهجية الخاصة المرتبطة بتلقي الشعر.

خلفية البحث

يعدُّ عمر أبوالهيجاء من الأصوات الشعرية البارزة في الحركة الشعرية الأردنية ،ومن الأسماء الشعرية الساطعة في سماءالأردن ،غير أن ما يبعث على الأسف هو أن شعر الشاعر رغم مكانته في الحركة الشعرية الجديدة و ارتباطه الوثيق بموضوع فلسطين وموضوع المقاومة و المناشدة الإنسانية التي تحتويها التجربة الشعرية عنده لم يلق حظه من الدراسة والبحث و لم نعثر على دراسة و بحث يعطي حقه و شأنه ولم نعثر إلا على بعض البحوث المنشورة في جريدة الدستور حيث كتب عماد ضمور بحثا عن شعره يحمل عنوان «عمق الرؤيا في تجربة عمر أبوالهيجاء الشعرية» و البحث نشر سنة ٢٠١٧م في جريدة الدستور لايتجاوز ثلاث صفحات وهو عرض موجز للقصائد النثرية للشاعر و لخصائص الخطاب الشعري عنده وأصالة التجربة وكتب الباحث نفسه مقالا آخر عن شعر الشاعر بعنوان: إيقاع الرؤي في بلاغة الضحي للشاعر عمر أبوالهيجاء والبحث أيضا منشور بنفس الجريدة سنة ٢٠١٦م وهو دراسة موضوعاتية لشعر الشاعر والباحث في بحثه يعالج موضوع الحب والموت والجدلية بينهما في شعر الشاعر كما عالج الاتجاه الإنساني في شعره ورسم التوق الشديد عند الشاعر إلى زرع الأمل والحلم بوصفه وظيفة الشاعر يؤمن بها عمر أبوالهيجاء والباحث قام بهذه المغامرة في هذين البحثين والبحوث الأخرى ليستهل بالقول إن عمر أبوالهيجاء شاعر جمع بين الرومانسية الموضوعية والواقعية المثالية وهو شاعر مؤمن بدور الشاعر في المجتمع وحركته الإيجابية النامية التي تتابع ولادة الحلم بكل لحظة ويمهد له برؤيا قابلة للانكشاف شعريا والتلقي جماليا وبحث آخر موسوم بـ «البناء الشعري في قصيدة ما من أحد لـ عمر أبوالهيجاء» للباحث مجدي دعيبس والبحث نشر سنة ٢٠٢١م في جريدة الدستور أيضا والباحث في بحثه يسعي ليميط اللثام علي ما يتميز به الخطاب الشعري من البنية الظاهراتية وتطرق لدراسة الإيقاع في بحثه وفيما يخص بديوان سرد لعائلة القصيدة فما يقودنا إلى القول هو أن الديوان صدر حديثا سنة ٢٠٢٢م وتم قبل شهور توقيعه من قبل الشاعر وهويتضمن الرؤيا الشعرية المكثفة الحثيثة التي له الفضاءات الجديدة التي يستحق البحث والدراسة وهذا البحث يسعى لأول مرة لاستقراء شعر الشاعر وتقصيه وتبيان صورة الواقع والجدلية بين الواقع وبين اللغة في هذه المجموعة.

الخطاب الصوفي الشعري

تعد لغة التصوف من الرهانات الأساسية للشعر العربي المعاصر.عند الشعور بالاقتلاع أو نوع من الاغتراب النابع عن الفاصل الذي يشاهده الشاعر بين مثاليته و بين الواقع السلبي المريض كما قال "ماركس" في بحثه عن الاغتراب الاجتماعي ، يلجأ الشاعر إلى هذا الحقل ويستثمر من طاقاته ومعطياته وينهل من اللغة الصوفيه ومعطياته ومكوناته بغية التعبير عن واقعه المعيش والشاعر باستثمار اللغة الصوفية ، يخلق الفضاء الشعري الجديد لايكون بعيدا كل البعد عن واقعه وحياته الاجتماعي بمافيه من السلبيات التي تدفعه للارتكاز على اللغة الصوفية أي أن استخدام اللغة الصوفية والتركيز عليها في الخطاب الشعري لايعني المحاولة للبعد عن الواقع أو التعبير غير المباشر عن هذا الواقع وتهميش الواقع في العمل الإبداعي أصلا بل اللغة الصوفية والمفردات والرموز ذات الفعالية والتأثير الإيحائي ، تعدُّ المرجعية الأساسية للشاعر للتعبير عن هذا الواقع المؤلم المريض. يجعل الشاعر من لغة التصوف ومكوّناتها ومعطياتها وسيلة التعبير والبوح والكشف إيمانا بأن اللغة الصوفية أكثر قدرةً وتمكنا على «إحتواء الواقع وهذا لايمكن بدونها ومن هنا يجد الشاعر المعاصر وسيلته للخلاص في النزوح عن الواقع واستعارة لغة التصوف كسبيل لتحقيق الفرادة والإبداع من جهة وملامسة الواقع»(هلال ،بوسنة ، ٢٠٢٠م: ٣٠٠) ويعد عمر أبوالهيجاء من أبرز الأسماء الشعرية في الحركة الشعرية الأردنية المعاصرة. لجأ إلى لغة التصوف للتعبير والبوح عن عالمه الشعري الخاص والتعبير عن رحلته ومعاناته ومكابدته وفي رسم الواقع السلبي في الخطاب الشعري الصوفي ، يعكس اللغة التي تمثل الوسيلة للخروج والنجاة من المحنة والعذابات التي تهيمن

وتثقل على ذات الشاعر والقاريء لشعر الشاعر يلحظ هذه الفرادة والتوجه الإبداعي للشاعر و تمثل اللغة الصوفية بشكل المرتكز والمشبع الدلالي للشاعر وأفكاره وعالمه وأيضا بما يمتلكه من الفاعلية والحمولة الدلالية التي تشبع النص من ناحية الإيحاء والدلالة والعالم الشعري بواسطتها «أصبح العالم الرمزي والموضوعي ينضوي تحته أفكار الشاعر و مواقفه وآماله وتتجلي منه علاقاته وتفاعلاته المتقاربة والمتباعدة مع الواقع وعوالمه المختلفة» (زيدصلاح ، ٢٠١٧م: ٢٤). مايجلب الانتباه في هذه المجموعة الشعرية ، هو حضور اللغة بفاعليتها الخاصة في النص الشعري وكأنها الكائن الإنساني الحي يخلصه من عنف الواقع.اللغة هي لغة التواصل يكرس الشاعر فاعليتها في هذا الفضاء الشعري الصوفي لبناء الثقافة الجديدة التي تخلو من السلبيات(زيتون ،٢٠١٢م: ٨٨) ويتخلص بها الواقع من الاشكالياته وتحدياته التي تواجهه واللغة عند الشاعر هي الايدئولوجيا اللغوية التي تمثل رمز التواصل والمعاشرة الإيجابية التي تزيل وجوه السلبيات وتوسع دائرة الإيجابيات وهذا هو الجهة التي يناشدها الشاعر في خطابه الشعري الصوفي برسم اللغة الملهمة وفاعلياته.الفضاء الشعري عند الشاعر هو الفضاء الصوفي والشاعر في الأرض الصوفية الخصبة ذات الدلالات والشحنة الإيحائية ، يكرس اللغة بوصفها المنقذة للإنسان المعاصر.

اللغة الملهمة ورسم فاعلية الجسد الأنثوي

إن هروب الشاعر إلى الفضاء الصوفي وتوظيف المفردات التي تنتمي إلى الحقل الصوفي وما يشيع عنها من الإيحاءات والدلالات ، وسيلة للمواجهة وتعرية هذا الواقع والآلية التعبيرية التي تنبني عليها المعاني هي آلية التكثيف الدلالي عند الشاعر بالتركيز علي المحور الدلالي الواحد وتثبيته عبر الرموز المحددة التي بينها الصلة الدلالية القوية وفي افتتاحية القصيدة نلحظ هذا التكثيف الدلالي والتعزيز الإشاري والازدواجية الدلالية بين مجموعة من الرموز ارتدت لبوس الصوف والنفحة الصوفية.يقول الشاعر في افتتاحية القصيدة:

«تُحدّثني لُغتي/ عن امرأةِ الحقلِ/عن بابها المُرتَجى في احتمالِ المطرْ ،/عن سريرها المائي في دوائرِ الصحراءِ/هي غزالةُ الذاهبينَ إلى فيضِ الأحلامِ/ هي حرقةُ الأملِ في حدودِ الحبِّ/ لمّا تَتَهجى ألوانَ الغيابْ»(أبوالهيجاء ،٢٠٢٢م: ٤).

تتآزر في هذا التشكيل الشعري مجموعة من الرموز التي ترتبط بالحقل الصوفي. الفكرة المركزية لهذا النص الشعري هي التأكيد علي فاعلية الجسد الأنثوي ومواجهة الفكر الأصولي الذي يري في الجسد الأنثوي البعد المدنس والإحباطي للرجل.يكرس الشاعر في هذه اللقطة الشعرية فاعلية اللغة في مواجهة هذا الواقع السلبي الذي يسعي لتهميش المرأة واللغة هي الحوارية المثمرة بين الرجل والمرأة. أنسنة اللغة في هذا النص الشعري الذي يعتمد علي المفردات الصوفية وهي تحاور الشاعر ، وسيلة الشاعر للتعبير عن فاعلية الذات الأنثوي واللغة تمثل الملهمة بالنسبة للشاعر وهي تتحدث عن المرأة وتبشر بنزول المطر بما يحمله من الدلالات المألوفة في الوعي الجماعي؛ فالمرأة من الناحية الدلالية رمز التطلع والانجاب والولادة الجديدة وتمثل مرحلة المخاض للتحول والتغيير الذي يطلع إليه الإنسان العربي المنكوب والمقهور. مثول اللغة الشعرية امام الشاعر والحوارية بينها وبين الشاعر ، يشكل المشهد الإنساني الجميل يسرد فاعلية المرأة والجسد الأنثوي. عن باب الأنثى كما ترسم اللغة يمكن احتمال المطر ويمكن نزول المطر عن سريرها المائي والرجل في مغامرته للوصول إلي فيض الأحلام والتخلص من متاهات التيه المتمثلة في لفظة الصحراء ، يعتمد على الحضور الأنثوي بوصفها رمز الخلاص للرجل والخروج من الغياب.

هذا النص الشعري الذي استخدم فيه الشاعر المفردات التي تنتمي إلى الحقل الصوفي يرسم فاعلية الجسد الأنثوي عبر تجسيد اللغة ككائن إنساني يزرع الفكرة المركزية ويجهض سلبية العقلية المعاصرة التي «تتأثر بمجموعة من المعطيات التي تسير كلها في محور التمييز بين الرجل والمرأة بشكل تفاضلي و ادراج الجسد الأنثوي ضمن ما هو سلبي مدنس»(عيال ، ٢٠١٧م: ١٣٣) والشاعر يرفض هذه الفكرة الخاطئة التي تقوم بتقميع المرأة في المجتمعات العربية. يرسم الشاعر في هذا التشكيل الشعري ، الحوارية بين اللغة وبين الشخصية الساردة وتأنيث الفضاء والإكثار من المفردات ذات الشحنة الدلالية الإيجابية مثل حرقة الأمل والحلم والماء ولكل هذه المفردات المعنى والملحوظ في الفكر الصوفي و الاعتراف بفاعلية الحضور

الأنثوي وما يتنزه منه من الخصب والانجاب والفاعلية عبر اللغة ، مناشدة الى بناء الثقافة الجديدة التي يتلاحم فيها الرجل والمرأة في منظومة منسجمة متكاملة تقود الواقع الى الأمان والإيجابية والحضور وبلوغ لحظة صوفية عارمة بالحلم والضوء وحرقة الأمل وذلك باعتبار المرأة كمرجعية للرجل في حضوره و رحلته في متاهات الواقع للوصول الى فيض الأحلام. يطرح الشاعر في هذا التشكيل الشعري رؤية جديدة قائمة على المعرفة والرؤية فقد عبر الشاعر عن قناعته «بأن الروحي والجسدي غير قابل للفصام وبذلك يقدم لنا ما يمكن نطلق عليه ثقافة الجسد فالجسد هنا يشار إليه لابوصفه جسدانية شهوية بل إدراك جمالي والجسد يتحول إلى لونية نورانية كما الروح» (الشيخ ، ٢٠١٢م: ٣٤) والجسد يبث الهدوء والطمأنينة ومن سرير المرأة المائية تجري الحياة والولادة واللغة هي التي تؤكد علي هذه الفعالية للجسد الأنثوي برسم المطر وتدفق الأحلام واحتمال المطر من سرير المرأة باعتراف اللغة الملهمة وبحضورها كما يجسّد اللغة في هذا الفضاء الصوفي ، يتسع حدود الحبِّ ويحدث فيض الأحلام ولحظة الحلم في الصوفية لحظة الاكتشاف والإبداع والوصول إلى فيض الأحلام أيذان بالمرحلة الجديدة «ومرحلة الرحلة الداخلية ولحظة التأمل الصوفي والحضور الإنساني العميق في باطن الواقع والأشياء ويكسب الحلم الانسان مرحلة من التوازن والاستقرار الوجودي»(بالعلي ، ٢٠١٢م: ٢٩) وبامكان الإنسان في مرحلته المعيشية الجديدة ببناء الحياة القائمة علي الحوارية الإيجابية والتواصل وهذا التواصل باعتراف اللغة يعني الخروج من متاهات الصحراء والقتامة وإعادة الحلم باعتراف اللغة أو إيقاظ الحلم واستيقاظ السر الكامن الغامض في وعي الإنسان(الكبيسي ،٢٠١٢م: ١١). السرير رمز الألفة والعلاقة المؤسسة على الاحترام والتلاحم بين الرجل والمرأة ورسم فاعلية السرير في هذا التشكيل الشعري وتجسيد نزول المطر منه والاعتراف به من قبل اللغة ، ترسيخ للفكرة الرئيسة التي تدعو الى التلاحم وموائمة الطرفين واعادة الرؤية إلى المرأة في الثقافة العربية الراهنة التي تضع بعض التابوات أمام الفعالية الأنثوية والمرأة في حضورها الاجتماعي ويري فيها البعد الإحباطي للمجتمع الإنساني والشاعر يعارض هذه الفكرة الخاطئة ويؤسس الفكرة والرؤية الجديدة التي تعيد المرأة الى مكانتها المطلوبة.

اللغة ومشكلة الهوية

تمثّل اللغة الركيزة الهوياتية والثقافية في الوعي العربي المعاصر. ففي الوعي العربي المعاصر أن اللغة أداة الروح ووسيلتها للعطاء والسمو وبتعبير أدق أن اللغة حاجة روحية سامية وسموها يكمن في سمو الروح الإنسانية كما يكمن في سوالإنسان نفسه ورفعته وكذلك التشبث باللغة وسرد فاعليته يعني الدفاع عن الحقيقة الإنسانية وروح الأمة من أجل الارتقاء بالإنسان وسموه (البستاني ، ٢٠١٢م: ٢) الحالة الانفصالية بين الجانب الروحي وبين الإنسان المعاصر نتيجة سيطرة الرؤية المادية والسعي لإشباع الرغبات المكبوتة التي تتعارض والجانب الروحي والفطري والمشكلة هي الخفوت الروحي وتسطع الجانب المادي والغريزي عند الإنسان المعاصر. غير أن اللغة تقف في وجه هذه المشكلة؛ مشكلة العصر هي ضعف الانتماء إلي الأرض وإلى الهوية الحقيقية بما تمتلكه من الأصالة والعراقة وغرق الإنسان في المادية والوسيلة والحل تكمن في سمو الإنسان وسمو اللغة التي تعيد الأرض إلى هويتها وفطرتها وذلك بعد فعل ترميم من قبل اللغة للإنسان وروحه وأرضه وفي الواقع أن اللغة تمثّل الصلة بين الأرض وبين الإنسان وإلى هذا أشار الشاعر بقوله:

«تتناسلُ فيَّ اللغةُ/تلُمُّ شَمَلَ الروحِ في مدارجِ الحنينِ/إلى أرضٍ أرضعتني حليبَ خُضرتِها/وتركتني غافيا فوقَ غيمِ يديها/كُنتُ وحيدا أُطاردُ ظِلي/ونصفي مبتلٌّ بريقِ الحقولِ/وقلبي لم يزلْ أسيرا/لمقامِ الندى/وأهدابِ القصيدةِ الحُرةْ» ، (أبوالهيجاء ، ٢٠٢٢م: ٧).

فعل التناسل في هذا التشكيل الشعري تعبير استعاري عن العلاقة العميقة بين الشاعر وبين اللغة.الشاعر يعيش فصول اغترابه والفصل بينه وبين الأرض وهويته الأصيلة وتتشظى الروح في هذه الأرض وصارت السيطرة للجانب الجسدي والمادي وثقل هذا الجانب غير أنَّ اللغة في هذه الحالة المأساوية تمثل رمز الخلاص للإنسان وللجانب الروحي وتلمُّ شمل الروح وتعيد الشاعر إلى موطنه وتزرع في نفسه الشعور بالانتماء إلى الأرض وهذا هو الفكرة النهائية التي يتضمنها هذا النص الشعري ويرسمها الشاعر بتجسيد حضور الشاعر فوق يدي الأرض واللغة هي التي تجعل الشاعر أسير القصيدة

وتجعله مبتلا بريق الحقول.القصيدة رمز الابداع ورمز الحرية وهي تعبير عن الانفتاح الروحي للشاعر وخروج الروح من الفجيعة والمأساة نتيجة هويته الجديدة والعلاقة العميقة بينه وبين الأرض تؤسسها الحوارية بين الانسان وبين اللغة الموحية والمبدعة التي تجعل الشاعر اسيرا وهذا رسم شعري معبر عن فاعلية الحياة وحركيتها واستمراريتها في ظلِّ الهوية الجديدة المؤسسة باللغة تجعل الحياة في الحركة والتدفق والاستمرارية و تمكن الإنسان من الصعود وترمّم انكسار الواقع و ترضع الإنسان الخضرة والبريق والخضرة في هذا التشكيل الشعري رمز التفاءل والبهجة ودفء الحياة(ربابعه ،٢٠١٢م: ١٥٥) والشاعر بهذا التشكيل الشعري ورسم الخضرة التي يمتلكها الإنسان وسموه علي يدي اللغة ، تعبير شعري عن فاعلية الانتماء إلى اللغة والهوية الجديدة التي تؤسسها اللغة:«وتُجيزُ لي القَصائدُ/أن أصعدَ وُضوحَ النقشِ في سفحِ التأمُّلِ/ أفتحُ الآنَ/في أعالي الكلامِ/كلَّ أغنيةٍ وكلَّ نقشٍ في أهدابِ الأرضِ/لأُكَحِّلَ على مهلٍ ما خَطَهُ العاشقُ من تصاويرَ/لامرأةٍ لمْ يَنَلْ منها سِوى الغيابْ» ، (أبوالهيجاء ، ٢٠٢٢م: ٦).

القصيدة هي اللغة ،واللغة هي القصيدة واللغة بناء وأدات التشكيل وهي التي تجيز للشاعر يصعد ويتحرر من القيود وهذا الصعود نتيجة لصعود اللغة وذلك لأن الإنسان يسمو بسمو اللغة وسمو الثقافة وهذا هو الفكرة المركزية لهذا النص الشعري وحضور اللغة في المتن الشعري إعلاء له وارتقاء به وتخلق الأفكار وتوحي بها في التشكيل الشعري وفي مثل هذه الحالة لاتكون اللغة ماء القصيدة وعامل حيويتها فحسب ذوبان اللغة في القصيدة وسيلة الخلق والإبداع والتعبير و تقود إلي المعاني وتفتح الآفاق(العلاق ، ٢٠١٢م: ٦) ويتمسك بها الشاعر في محاولته للالتزام بهويته وصعود بنفسه والارتقاء به في متاهات الوجود. يصعد الشاعر بهويته الجديدة وفي ظلِّ علاقته بالأرض ويصل لحظة «المعراج الصوفي كوسيلة للمعرفة والوصول إلي فكرة المنتهي حسب رأي أبي يزيد البسطامي» (هلال ، بوسنة ، ٢٠٢٢م: ٣٠١) ولحظة التأمل والتعمق ويفتح في أعالي الكلام الأغنية التي تمثل رمز الحياة الجديدة بكل مافيها من الحركة والاستمرارية ويلامس وضوح النقش في سفح التأمل ويتمكّن من أن يترك أثرا وبصمة لامعة على صفحة الحياة بهذا الحضور والوجود.لحظة التأمل والتمعن واللحظة الشعرية تعادل لحظة التأمل الصوفي والقصيدة التي تكونها اللغة ، يصل بها الشاعر لحظة التأمل والصعود والإبداع و يتمكن في تلك اللحظة من الخروج من القمقم وضيق الواقع الثقيل وبلوغ لحظة الانفتاح والدفق والصعود وهذا هو الفاعلية التي تمتلكها اللغة التي تقود الشاعر الي أرض أرضعتها وتخلق في نفسه الشعور بالانتماء وبالحوارية بينها وبين الشاعر ينتهي الغياب للمرأة وتبتديء الحوارية بين الشاعر وبين المرأة وتصبح العلاقة بينهما علاقة على مستوى الحضور الإيجابي والحوارية المثمرة.في فلسفة عمر أبوالهيجاء أن اللغة أداة التكوين للأرض والهوية وهي التي تمنح الأرض حيويتها و نشاطها وحركيتها و تجعل الإنسان في غيابها ساعيا إليها في رحلة عارمة بالحب والشغف والحنين و إلى هذا أشار بقوله:

«في سرِّ الغيابِ/أفتحُ بابا للعبور نحو الضُّحى/أُطلقُ طيورَ الخيالِ تسعى/في قمصانِ الأرضِ/في كؤوسِ الكائناتْ/وحينَ أرى في فوضى الحياةِ/ما تَخُطهُ أفراسُ دمي/على زندِ الطينِ المُبلّلِ بريقِ اللغةِ/أتكئُ على مفردةِ الحنينِ/وأظلُّ كما الطيورِ/أظلُّ أسعى» ، (أبوالهيجاء ،٢٠٢٢م: ٢٥).

لحظة الغياب التي رسمها الشاعر في قصيدته لحظة غياب تلك الروح الفاعلة التي يتمكن من الصعود والسعي والوصول الي معراج الأرض وفي تلك اللحظة يسعي الشاعر للعبور من لحظة الغياب وبلوغ الحضور الحقيقي وذلك بالركون الي اللغة التي تمكن الشاعر من السعي والوصول والشاعر يتكيءُ عليها لإخراج الحياة من فوضاها. الطين رمز العراقة والأصالة للأرض ووصفها بالبلل واسناده إليها باللغة رسم شعري لفاعلية اللغة لإعادة الأرض الي شموخها الأولي وعراقته وأصالته. ما نلحظ في هذا التشكيل الشعري هو الحضور المكثف للإشارات والعلامات الشعرية التي تبوح كلها بالحركة والجريان مثل لفظة الطيور والافراس والخيال الطليق والعبور والمفردات كلها ترسم حياة تطفح بالفاعلية والحركة والاستمرارية التي تنتج من اللغة الفاعلة التي تمكن الإنسان من الوصول والصعود.

معضلة الموت وإحيائية اللغة

رسم فكرة الموت والتعبير عنها في الشعر العربي المعاصر جزء مهم في الشعرية العربية المعاصر ويشكل الموت العنصر الموضوعاتي الذي لا يستهان به في الشعر المعاصر غير أن حضور الموت في الخطاب الصوفي يختلف كل الاختلاف عن الاشعار الأخري التي تستخيم اللغة وتكرس فاعلياته وربَّما الموت في الخطاب الصوفي يمثل رمزا وإشارة الي الواقع وتعبيرا عن معاناة الإنسان في المجتمع وعذاباته.الموت في الخطاب الصوفي لايعبر عن ذلك المصير المحتوم الذي يعترف به شعراؤنا المعاصرون فحسب بل وسيلة لهم يعبرون من خلالها عن عذابات الإنسان المعاصر في ظل احتدام الحالات السلبية والرؤية المادية التي تسبب الصراع والقتل وفي النهاية قتل الإنسان للإنسان والموت هو المدرك المدلول لتلك الرؤية السلبية القاتلة التي تجرالإنسان الي الحرب والقتل وتجعل الأرض وسطا للوحشية وتذكر للإنسان فجيعة الموت وتجعله تشعر بمرارة الحياة وثقل الواقع الثقيل الذي يعيش فيه في شعر عمر أبوالهيجاء الي جانب تحميل الموت لهذه الفكرة واستغلال طاقاته الدلالية للتعبير عن الفكرة والموضوع ، نلحظ الموت كرمز ووسيلة تعبيرية ، يمثل تلك الفكرة الخاطئة والقاتلة التي تسبب الانفصال والفراق بين الرجل والمرأة وفي الحقيقة الفكرة الخاطئة النابعة عن الفكر الاصولي الذي لايقيم للجنس الأنثوي وزنا وأهمية والشاعر عبر الاعتماد على الموت رمزا ووسيلة تعبيرية ، يرسم هذه الفكرة الخاطئة وذلك الإرث الثقافي القاتل.اللغة في شعر عمر أبوالهيجاء تقاوم و تمارس مقاومة الموت وتلك الفكرة التي تجهض الحلم الإنساني ويسلب الإنسان الحلم الجميل:

«هو الموتُ..لا يُحاورُ ..ولا يُناورُ/يحفرُ في صحراءِ البَدَنِ تاريخا/يخطفُ هدأةَ البيوتِ/لغةَ الحلمِ..هو الموتُ مثل جدارٍ/يُقيمُ في سلّة الأرض/إيهِ يا موتُ//ردَّ لي//نِصفَ نومي لأحلُمَ باللغةِ/لغةٌ تُنادي عليَّ/مواويلُ مَزقتها ذئابُ العتمةِ ،/ردَّ لي/نصفَ نومي/لأحلمَ ثانيةً /وأتركَ كلَّ بيوتِ المدينةِ/تسعى في رأسي ،/تسعى وتُتَمتمُ مثلَ الرصاصِ/تُغازلُ عشبَ القبرِ» ، (أبوالهيجاء ،٢٠٢٢م: ١٤-١٥).

والموت في هذا التشكيل الشعري هو الفكرة القاتلة التي تسبب الفصل بين الرجل والمرأة وهذه الفكرة متأثرة من الفكر الأصولي الذي يرى في الجسد الأنثوي مشكلة ومعضلة للرجل والخطاب الأصولي ونتيجة الثقافة العقيمة التي«أقصت المرأة جعلتها تري نفسها على أنها جسد مثير واقترن فيها بالخلفية التاريخية للجسد الأنثوي فيرمز بصفة أشمل الى معاناة المدن والأوطان العربية وهذه المعاناة نتيجة لتلك الفكرة الخاطئة وطغيان العقل البدائي في العصر الراهن»(طويل ،٢٠٢٢م: ١٠٨). الموت كما يرسم الشاعر يحفر تاريخا ممتدا في الجسد والصورة هذه تعبيرة عن الخلفية التاريخية للفكرة الخاطئة التي تسلب الحلم من الحياة ويفصل بين الاثنين والجدار تعبير واضح مباشر عن هذه الفكرة وهذا الموت القاتل والشاعر في رسم الحوارية بينه وبين الموت يلتمس منه أن يرد إليه نومه وهدأته ليحلم باللغة واللغة هي المنقذة للمجتمع العربي وهي التي تمزق ذئاب العتمة والظلمة في داخل الإنسان وتنمسح بسببها الظلام والقتامة الداخلية واللغة كما يرسم الشاعر تمثل الوسيلة التي تختزل المسافات النابعة عن الثقافة العربية الراهنة. يقول الشاعر:

«في ميدانِ الاحتراقِ/أسردُ على أولِ الليلِ شفيفَ الكلام/وفي هواتف البَدَنِ أحرثُ الطريقَ/لها إذا ما تركتْ ضحكَ الليل على مصاطب الروحِ/تخبئُ مواسمَ خضرتِها في كفّي/تاركةً أصابعي تعبثُ في معجمها الأخيرِ/تذوِّبُني في ماء التكوينِ /كم رقصةً تحتاجُ/لأقرأ بيا ضَ يدي /على مفاتيح القلبِ/كي أدخلَ مكتظا بي/شرفاتِ ...الأنثى البكرْ...» (أبوالهيجاء ، ٢٠٢٢م: ١٦-١٧)

وبعد الحوارية التي تتمثل في رمزية اللغة يدخل الرجل في ميدان الاحتراق الفينيقي وعندئذ تترك الروح مواسم خضرتها في كفي الشاعر.الرقصة هي اللفظة التي تنتمي الى الحقل الصوفي والرقصة هي الرقصة الصوفية واستعار الشاعر هذه اللفظة من الحقل الصوفي ليعبر بها عن المعنى غير المعني الصوفي والرقصة رمز التحرر والخلاص من تلك الفكرة القاتلة والثقافة العقيمة التي تسببت الفصل بين الرجل وبين المرأة وتجعلها في حالة من التهميش.تنتهي هذه الحالة السلبية التي سادت المجتمعات العربية بالحوارية الإيجابية التي تمثله اللغة التي تدخل الشاعر في ماء التكوين ويدخل مرحلة التجلي والحضور بعد تجاوز الغياب السلبي التي يعاني منه المجتمع والرجل داخل المجتمعات العربية.

مواجهة سلبية المكان بفاعلية اللغة

الشعر مرتبط بمكان منذ ظهوره والمكان والعنصر المكاني من أهم العوامل في خلق الحالة الشعورية عند الإنسان ومن ثم الباعث علي وجود التجربة الشعرية فالإنسان ابن المكان الذي يعيش فيه ويتعامل معه بالطريقة الشعورية والوجدانية ويسعي للتعبير عن خواطره ومشاعره تجاه المكان الذي يعيش فيه ويمضي فيه العمر. لانجد عند تصفح الدواوين الشعرية المعاصرة ، قصيدة تخلو من الرؤية المكانية وحضور المكان وهذا الحضور يزداد قوةً وبلورة عند اقترانه بالزمن وخاصة عند تشكل الفضاء الكرونوتوبي الذي يطغى فيه العنصر المكاني علي ساحة القصيدة الشعرية المعاصرة التي تعكس تجربة الشاعر في المكان. يسعي الشاعر في أشعاره«إلي محاورة المكان والدخول في أعماقه مسبغا عليه عالمه الرؤيوي و شعوره الوجداني عبر تخطي المباشر والحرفي وتتجاوزها إلي صناعة أكوان شعرية تتمرأي فيها نفس الشاعر وتسكب فيها خلاصة تجربتها»(ربابعة ، ٢٠١٢م: ١٤٢). حضور الشاعر في المكان والمحاولة لرسم المكان في شعره ، لايخرج عن البعدين أو الاتجاهين أساسا ويكون الموقف من المدينة موقف التصالح والتعامل الإيجابي وموقف الرفض والتشرذم والرفض وبسبب سلبية المدينة وعدم امكانية التكيف والتعامل مع المدينة وهذا الاتجاه المرسوم في الشعر العربي المعاصر أكثر حضورا و طغيانا علي مساحة الشعر العربي المعاصر؛ الشاعر عندما يلفه العذاب في المدينة ولايشعر فيه بالارتياح بل يتعذب يوما بعد يوم ، والمدينة في بعدها السلبي تشبعه وخزا وألما ، في تلك اللحظة لايجد الشاعر عند ذاك الشعور ملجأ غير الشعر يدخل في مساراته ويصف فيه مدينته و ارهاقاته للشاعر وسلبياته وهذا طريقة شعراءنا المعاصرين في التعامل مع المدينة من الشعراء الرواد وحتي اليوم وشاعرنا في اشعاره في الفضاء الصوفي وبتوظيف المفردات التي تنتمي إلي الحقل الصوفي ، يصف المدينة في بعدها السلبي ويرسم عذابات الشاعر فيها ويعكس ما فيها من العوائق والعثرات في مسيرة الوصول إلي الصفاء والنور. يقول الشاعر:

«حينَ أمرُّ بالقصيدةِ/أرى في كلِّ سطرٍ قبرا/موتا في ثيابِ الكلامِ/موتا في ترابِ الشاعرِ/والدربُ ثقيل./أيُّ سماءٍ أرفعُها/لأنجو من ارتعاشِ الحناءِ /في مُعلّقةِ الجسدِ ،/دمعٌ على شفاهِ الوردِ/دمعٌ لم يجفَّ في حلقِ المنازلِ/والطرقاتُ جريحةٌ..راجفةٌ مثلَ قططِ ليلٍ/ولا حياةٌ.. ،/يفرّخُ الموتُ في أغصانِ المدينةِالمدينةُ وحدَها/تلمُّ أنينَ الناي/تلمُّ فكرةَ الرحيلِ/وحينَ أمرُّ بالقصيدةِ/أرى في كلِّ سطرٍ قبرا....» ، (أبوالهيجاء ،٢٠٢٢م: ١٤).

العلاقة بين الشاعر و بين المكان علاقة على أساس الصراع و التصادم وصارت المدينة بسلبياتها مصدر عذابات الشاعر و معاناته و الشاعر يعبِّر عن هذه العذابات برسم ثقل الواقع. يعكس الشاعر تجربته المعيشية في المدينة وهذه التجربة الطافحة بالعذابات والجروح. يرسم الشاعر رؤيته للقصيدة وهي رمز الإبداع و نشوة الحياة غير أن الشاعر عبر هذا المنظور الرؤيوي ، يعبر عن سلبية المدينة وعذابات الإنسان فيها. يري في كل سطر من القصيدة موتا ونهاية. المدينة تلمُّ فكرة الرحيل وتنزع الشاعر من واقعه المؤلم وتلمُّ أنين الناي والشاعر في حضوره في المدينة لايري فيها تلك النورانية والصفاء الذي يصبو إلي الشاعر الصوفي. المدينة في صراع و ضدية مع الناي وهذا هو ما يرسمه الشاعر في هذه القصيدة وتسبب المدينة عذابات الناي ومعاناته المتمثلة في الأنين. الناي رمز الوعي والانتباه وهذا هو فاعلية الناي في الفكر الصوفي والناي يعارض الخمود والانخلاع والثقل و«تهيء فكرة الرحيل والتوق الجميل إلي مصدر النور والصفاء والاندماج في المطلق»(سليطين ،٢٠١٠م: ٦٧) وزفراته دعوة إلي هذه الرحلة والدمج في حقيقة الوجود غير أن المدينة بسلبياته وعذاباته ، سلبت هذه الفاعلية من الناي.الشاعر للتخلص من هذه الحالة السلبية والمأزومة ، يحاور الموت بوصفه الوسيلة للخلاص والعودة إلي الحلم الذي أجهضته المدينة بسلبياته ويطلب منه أن يرد إليه نصف نومه ليحلم ثانية باللغة:

«إيهِ يا موتُ/ردَّ لي//نِصفَ نومي/لأحلُمَ باللغةِ/لغةٌ تُنادي عليَّ/وفي الدم أصواتُ نايات/مواويلُ مَزقتها ذئابُ العتمةِ ،/ردَّ لي/نصفَ نومي/لأحلمَ ثانيةً /وأتركَ كلَّ بيوتِ المدينةِ» ، (أبوالهيجاء ،٢٠٢٢م: ١٦-١٧).

الشاعر يلتمس من الموت أن يرد إليه نومه ليحلم ثانية باللغة التي تتمكن بفاعلياته من انقاذه وتحرره من الواقع الثقيل.الشاعر في مواجته للمدينة بكل مظاهرها السلبية يتسلح بعتاد اللغة ليتخلص من عذاباته ومعاناته ويدخل الحلم الجميل الساكن الذي زعزعته المدينة بسلياته وعذاباته: إلى حلمٍ فاضَ عن فمي/فاضَ عن نقشِ الشعرِ في سهولِ

المعنى/تسردني القوافي/في سلّة الكوّنِ...والشاعر يفيض عن فمه الحلم والقوافي تسرده علي صفة الكون واللغة بخصوصيته وفتاعليتها في الاشباع الجمالي تخرج الشاعر من ضيق الواقع ويصل بها مرحلة التوسع والاتساع بفاعلية اللغة وفي تلك اللحظة وفي عروجه إلي صفحة الكون ، يتخلص الشاعر من ثقل الواقع ويعيد إلي الحياة بهجتها ونشوتها.المدينة بالنسبة للشاعر تمثل بعد الغياب مقابل الحضور الداعي إلى التغيير وبناء الحلم عبر فاعلية اللغة وبماء اللغة واللغة وسيلة الشاعر لملء الشرخ الواسع بينه وبين المدينة بما تمتلكه من السلبيات التي تزرع في نفسية الشاعر الحزن والشجن.إن الشاعر في هذا التشكيل الشعري يكثر من حضور الشخصية والضمير المتكلم لخلق حالة الاتصال الخطابي والهدف المتني من هذه البنية التعبيرية خلق المشترك النصي واضفاء العينية إلي المقصود والتعبير بالنسبة للمتلق الذي يعد طرف الخطاب والتواصل في المشروع اللساني الجديد وبناءً علي هذا ثبت الشاعر حضوره في النص الشعري لتجسيد سلبية المدينة وإظهار اللغة ودورها في بناء العالم الحلمي والرؤيوي للشاعر وهذا هو سرُّ الحضور المكثف للضمير الذي يعود الي الشاعر «لأن الشاعر يريد بهذه الوسيلة أن ينهض النص بفاعلية مفيدة في منطقة الاتصال الواحدة والشاعر بهذا يعمل علي تقريب التجربة من اهتمام القاريء ووعيه بغية إشراكه في النص» (هياس ، ٢٠١٧م: ١٩٩) وخلق تواصلية وارتباط بينه وبين المتلقي بعد زرع حالة التماثل في الشعور والاحساسات عند طرفي الخطاب والشاعر لانتقال تجربته وحزنه علي مأساة المدينة من جهة والتأكيد علي فاعلية اللغة لبناء العالم الحلمي والرؤيوي يكثر من حضوره في النص لخلق الارتباط بينه وبين النص وبين المتلقي والهدف الخطابي من هذا العمل هو التشجيع والمبادرة إلى الانتماء الى اللغة والحلم للتخلص من الموت وسلبية الواقع وأزماته. قال الشاعر:

«أوقظُ هذي الورودَ /في ظلِ اللغةِ/ ووجعِ الأسئلةِ في الجبلِ المكتملِ الحكمةِ/قلتُ: في سرِّ الغيابِ/أفتحُ بابا للعبور نحو الضُّحى/أُطلقُ طيورَ الخيالِ تسعى/في قمصانِ الأرضِ/في كؤوسِ الكائناتْ/وحينَ أرى في فوضى الحياةِ/ما تَخُطهُ أفراسُ دمي/على زندِ الطينِ المُبلّلِ بريقِ اللغةِ/أتكئُ على مفردةِ الحنينِ/وأظلُّ كما الطيور/أظلُّ أسعى...»(أبوالهيجاء ، ٢٠٢٢م: ٢٥).

الورود رمز الحياة ونومها ،تعبير عن خمود فاعلية الحياة وسكونيتها في المدينة بما فيها من السلبيات والوسيلة لإنقاذ الحياة هي اللغة والشاعر قادر علي إيقاظ الورود في ظلِّ اللغة التي تمكن الشاعر من ممارسة الفعل الإحيائي.الواقع الإنساني باعتراف الشاعر يغط في سبات عميق ومميت والوسيلة للخروج من هذا السبات المقيت عند الشاعر الركون الي اللغة التي تخلص الإنسان وتخرجه من تحت الركام. الضحي من مفردات الحقل الصوفي في مفارقة وضدية مع الواقع المظلم والشاعر في ظل اللغة الملهمة يسعي ليفتح بابا ليعبر ظلام الواقع و يصل إلي الضوء والتجلي واللغة الإيحائية هي التي تخلق في نفس الشاعر الشعور بالتضاد وتسوقه إلي الصراع والمعارضة وتجعله في حنين دائم إلي النور وتؤسس في نفسية الشاعر الذي يرقض الواقع الثقيل المظلم ، الرغبة في الكشف والإبداع وينزعه عن الواقع بما فيه من السلبيات والهامشية ويزرع في نفسه التوق الشديد إلي الضوء والنور ومواجهة الواقع المظلم في محاولة مستمرة لبلوغ مملكة النور التي تتعارض والواقع السلبي الذي سلب الشاعر حيوية حياته وحلمه الجميل.إن الشاعر لايطيق صبرا علي فوضي الحياة وشتاتها وفي لحظة الصدام مع هذا الواقع المؤلم ، يحن إلي النور ويسعي إلي الكشف والإبداع واللغة هي الوسيلة والمرتكز الذي يخرج الشاعر من ضيق الحياة ويسوقها إلي ميدان المواجهة ويجعله في درب السعي ليتخلص من جحيم الواقع في رحلة للبحث عن الضوء وامتساسه ليطهر الواقع ويلمّ شتاته.

اللغة ملاذ الإنسان في ظروف الحرب

فقد دارت الحرب على الإنسان العربي ولايزال الشارع العربي يعاني من الحرب و أزماتها و أوجاعها والإنسان العربي يعيش في حالة من الحصار والضيق والخناق و الفقدان وفي الحقيقة يعيش في عصر الإيدئولوجيات وصار الإنسان العربي حيرانا في فضاء من الصراع والنزاع ونشوب الخلافات المختلفة التي تنزع الإنسان عن هذا الواقع «الذي يحتدم فيه الصراع في العصر الراهن المثقل بالظلم والفقد والاستلاب بفعل الحرب ووطأة الحصار التي أثقل كاهل القصيدة» (فتحي غانم ، ٢٠١٢م: ٣٨) والإنسان في هذا الواقع يشعر بالمأساة والفجيعة وينتظر في كلِّ لحظة نزول العذاب والمحنة في زمن

مرتقب فيه الحرب والصراع والخراب وضياع الإنسان وحلمه نتيجة الشهية المتزايدة إلي الحرب والهيمنة والسيطرة.عمر أبوالهيجاء يعكس الحرب في أشعاره ويرسم عذابات الإنسان ومعاناته في ظروف الحرب والخراب غير أنَّ يواجه الحرب باللغة ويبحث عن الملجأ والملاذ:

«هي حربٌ باردةٌ/إنها سؤالُ الحقيقةِ وقافُ القلقِ/سأمضي طائرا إلى محفظةِ السماءِ/أرشُّ بماءِ كلامي علي القلب/عابرا كلَّ حواجزِ المعنى/أيَّتها الحربُ//نرحلُ بكاملِ غيْمنا/وتبقينَ واقفةً في حلقِ الأرضِ/في خرائطِ المدنِ ،/لا لمْ يكنْ في مرايا الوجودِ /لوحةُ حياةٍ مريضةٍ بالفراغِ/من أعالي الخوف وحلمِ الطفولةِ/أيَّتُها الحربُ/ولمّا نصحو.. تتقاذفُنا العواصفُ/ وسعالُ الحربِ.. ،/ لم يكن أمامَ هذي الوجوه المثقلةِ بالغبارِ/غير حلمٍ لم يتسعْ له الليلُ /ولا النهاياتُ المفضيّةُ/لمعنى الخلودْ» ، (أبوالهيجاء ، ٢٠٢٢م: ٢٦-٢٧).

إنَّ الحرب بوصفها الظاهرة الحتمية المستديمة للعصر الراهن تبطيء إيقاع العصر الراهن وصارت الحياة في هذا العصر موسومة بالمرض والرؤية الإنسانية إليها الرؤية المأزقية التي تري في الحياة الضعف والمرض والعقم والفضاء الممتد لإجهاض الحلم الإنساني وصار الواقع محل الهزائم وانكسارات الإنسان المعاصر ومعاناته الروحية. حقيقة العصر الراهن وهويته هي الحرب والصراع والحرب مصدر قلق الانسان وتوتره الروحي وإرهاقاته النفسية وفي هذه الظروف لايجد شاعرنا الذي يسلك المسلك الصوفي طريقة غير رفض هذا الواقع ، والركون الى اللغة يلجأ إليها وبماء الكلام يرش على القلب ويطهره. الشاعر الصوفي يشعر بالاغتراب في مثل هذا الواقع ولكنه باعتراف الشاعر لايتعلق بهذا الواقع المريض والمأزوم بفعل الحرب والصراع ، بل ينتمي الي السماء ويصبو الي التماهي والالتقاء بالذات الألوهية ولهذا يبدأ رحلته ويخرق حواجز المعنى ويجعل نفسه في حضن السماء ومنها يرش اللغة على أبناء الأرض واللغة التي يرشها الشاعر ويبثها هي لغة الحوارية والتواصل بعيدة عن الحرب والصراع ومشاجرة القول بل من موطن الروح تمد لابناء الإنسان جسور الوصل والالتقاء والوسيلة لتطهير القلب وصفائه ونقائه: «وأنا من صلبوهُ في غرفة الأمونيا/قلتُ: بوضوحٍ تامْ/ضاقتْ بيَ الفصولُ ، مفاتيحُ الحياةِ والأسئلةُ/المفضوحةُ في السرابْ./في الطريق إلى الله/تركتُ تسابيحَ معجونةً بماءِ القصيدةِ/ولغةً مذبوحةً على فمِ صوفيٍّ/لم تقترفْ /سوى أغنيةٍ/في حضرةِ المريدينَ/بوضوحٍ تامْ//أتجوّلُ في صفحاتِ الجريدةِ/أبحثُ عن أسماءِ الطيورِ التي أغرقتها/مياهُ المواسمِ ولم ترتوِ بعدُ في خيمةِ الإضرابْ/بوضوحٍ تامْ//صوتُهم المبحوحُ /كأنهم أنا/وكأني صديقُ /أنامُ في سريرِ الوقتِ/أنام كغيري /وأحيا/مشفوعا بالأملْ» ، (أبوالهيجاء ، ٢٠٢٢م: ٥٤).

اللغة في فكر عمر أبوالهيجاء هي المعينة للصوفي في رحلته الى الله والى الفطرة الحقيقية للصوفي والرؤية الحقيقية التي يتسم بها الصوفي.الصليب رمز من رموز معاناة الصوفي وعذاباته في ظروف القهر والكبت والحرب(وهذه الظروف هي التي بسببها تضيق الحياة والفصول للصوفي وفي الحقيقية حالة من الانفصالية والاغتراب تخيم على الصوفي في مثل هذه الظروف القهرية وصارت الحياة في حالة من الفراغ والضياع المتمثل في لفظة السراب في هذا التشكيل الشعري. اللغة التي يرسم الشاعر فاعليتها في هذا التشكيل الشعري هي التي لاتقترف سوي الأغنية في حياة الشاعر وهذه اللغة التي تترنم على فم الصوفي في هذه الصورة الفنية هي التي تخلق حالة من التغاير والرفض عند الصوفي بالنسبة للواقع الذي يعيش فيه وهو الواقع الذي يأباه الصوفي بسبب الحرب والضيق والقهر واللغة هي التي تخلق تجربة الاقتلاع والاجتثاث عند الصوفي وهذه اللغة تميل في مثل هذه الظروف إلى الاغنية وهي رمز النشوة الروحية والصوفي يبحث عن هذه النشوة في رحلته الى الله. الشاعر الصوفي يرفض الحرب وقتل الإنسان للإنسان لأنها تتعارض تماما والفطرة الإلهية التي فطر الله الإنسان بها وهي الفطرة التي تميل إلى الصفاء والنقاء وخيار الخير للإنسان وأبناء الإنسان ولهذا تقتلعه اللغة عن هذا الواقع المريض ويدفعه ويجعله في رحلة البحث عن أسماء الطيور في حضن السماء وفي رحلة بحث لإعادة الإنسان إلى تلك الفطرة النزيهة والنقية التي تجعل الإنسان يعيش في حالة من الوئام والالتحام بغيره في حياة مشبوعة بالأمل والحلم الجميل وهذا هو فاعلية اللغة في مواجهة الحرب والصراع الذي هو النتيجة الطبيعية لبعد الانسان وانفصاله عن الفطرة الحقيقية والالهية للإنسان.

نتائج البحث

بعد هذه الرحلة التحليلية في شعر الشاعر ،و المغامرة البحثية التي استهدفت تبيان الفكرة الرئيسية في خطاب الشاعر الشعري ومعالجة ثيمة اللغة في شعره ،توصلنا إلى هذه النتائج التي نلخصها كمايلي:

١. الخطاب الشعري عند عمر أبوالهيجاء يحملُ وسمةً صوفيةً ،وفي الحقيقة اتَّخذ الشاعر من الحقل الصوفي ومفرداته و معطياته وسيلة لخلق فضاء شعري لتعرية الواقع و رفضه ومواجهته والشاعر في اشعاره يخلط بين تجربة الحس الصوفي وتجربة الحضور في الواقع السلبي الذي يتعارض مع الرؤية الصوفية للشاعر.
٢. الجديد في شعرية عمر أبوالهيجاء هو التركيز على فاعلية اللغة للتخلص من الاغتراب الذي ينتاب الشاعر الصوفي في هذا الواقع المعيشي ،والشاعر يرسم في خطابه الصوفي فاعلية اللغة للتخلص من أزمات الواقع وتطهير المكان الذي يعيش فيه هذا الشاعر الصوفي.
٣. اللغة في شعر الشاعر وسيلة التعايش والحوارية بين الرجل والمرأة وما يخفف من آلامهم في ضل ثقل الواقع المعيشي هو الحوارية بين الطرفين مما يسردها الشاعر بتجسيد فاعلية اللغة في هذا الخطاب الشعري.
٤. يرسم الشاعر في خطابه الشعري الحوارية بين الرجل والمرأة وإعادة الانسجام والدفء إلى الحياة وبلوغ المعراج الروحي عند الالتحام التام بين الطرفين بفعل اللغة الملهمة التي تخلص الإنسان من قذارة الواقع الذي يعيش فيه
٥. وأيضا ،إن اللغة كما يرسم الشاعر في شعره جسر العبور وتحقيق الفكرة الانتقالية من الموت إلى الحياة الجديدة ومواجهة فعل الحرب والصراع النابع عن الوحشية وطغيانها في داخل الإنسان والإنسان وهذا المعنى يكرسه الشاعر باعتماده على اللغة والارتكاز عليها مما يجعله يتمكن من احتواء الواقع الذي يعيش فيه ويتمكن من أن يلم شمل الواقع بعد تشظيه وعثرته بفعل الطغيان الجسدي والنزعات المادية التي تجعل الإنسان في مواجهة غيره بدون مبرر وفاعلية اللغة في هذا المستوي يرسمها الشاعر بتجسيده في الفضاء الشعري والصوفي الذي يعكس تجربة الحضور في المكان كما يعكس فاعلية اللغة في المشهد الشعري الحواري.

المصادر

أبوالهيجاء ، عمر (٢٠٢٢م). *مجموعة سرد لعائلة القصيدة* ، الأردن: المكتبة الأردنية الهاشمية.

بالعلي ، آمنة (٢٠١٢م). *تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة* ، الجزائر: الأمل.

البستاني ، بشري (٢٠١٢م). *فاعلية اللغة في رؤيا محمود درويش الشعرية* ، عمان: دارفضاءات.

دعبيس ، مجدي(٢٠٢١).البناء الشعري في قصيدة «ما من أحد» لعمر أبو الهيجاء ، جريدة الدستور ، صص ٤-٦.

ربابعه ، موسي (٢٠١٢م). *آليات التأويل السيميائي* ، ط١. الكويت: مكتبة المتنبي.

زيتون ، علي مهدي(٢٠١٢م). *الشعر كتاب الثقافة* ، ط١ ،بيروت: دارالعودة.

زيد صلاح ، عبدالله (٢٠١٧م). «*الضوء و تجليات العشق الصوفي في ديوان أبجدية الروح*» ، *مجلة العمدة* ، الجزائر: جامعة محمد بوضياف المسيلة. العدد٢. صص ٤٠-٢٣.

سليطين ، وفيق (٢٠١٠م). «*ناي الرومي في لهاة الشعر العربي الحديث: لايشدو الناي إلا عندما يكون فارغا*» ، إيران: جامعة سمنان. *مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها*. العدد١. صص٦٣- ٧٤.

الشيخ ، سمير(٢٠١٢م). *مرايا البرية: القوي الثقافية والجمالية في شعرية العلاق*: ضمن كتاب الصوت المختلف ، لأحمد عفيفي ، عمان: دارفضاءات للنشر والتوزيع.

ضمور ، عماد(٢٠١٧).عمق الرؤيا في تجربة عمر أبو الهيجاء الشعريّة ، جريدة الدستور.

ضمور ، عماد(٢٠١٦). ايقاع الرؤى في بلاغة الضحى للشاعر عمر أبوالهيجاء ، *جريدة الرأي* ، صص ١٢-١٥.

طويل ، زهرة (٢٠٢٢). «*الكتابة بالجسد في ثلاثية أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد ، فوضي الحواس و عابر سرير*».*مجلة إشكالات في اللغة والادب* ، الجزائر: جامعة تامنغست. العدد٢. المجلد١١. صص١٠٢- ١٢٠.

عبدالجبار ، عبدالغفار(٢٠١٢م). *الرفض في مجموعة مكابدات الشجر*: ضمن كتاب ينابيع النص وجماليات التشكيل ، عمان: دارفضاءات للنشر.

العلاق ، علي جعفر (٢٠١٣م). *الدلالة المرئية: قراءات في شعرية القصيدة الحديثة* ، ط١. عمان: دار فضاءات.

عيال ، حسين (٢٠١٧م). *خطاب التجريب والرواية؛ رواية العراق أنموذجا* ، دمشق: دار الأمل الجديدة.

غانم ، فتحي(٢٠١٢م). *تداخل الفنون في الخطاب الشعري لبشري البستاني* ،ط١ ، عمان: دارفضاءات للنشر والتوزيع.

الكبيسي ، طراد(٢٠١٢م). *لغة للصحو ولغة للحلم*: ضمن كتاب الصوت المختلف ، عمان: دارفضاءات.

هلال ، امينة وبوسنة ، فتيحة (٢٠٢٢م). «تآلف التيمة الهامشية وتأثيث الرؤية الصوفية في قصيدة جرس لسموات تحت الماء لعثمان لوصيف» ، الجزائر: جامعة البليدة. *مجلة المدونة*. العدد٢. صص٢٦٩- ٣١٠.

هياس ، شكري (٢٠١٧م).*القصيدة السير ذاتية: بنية النص وتشكيل الخطاب* ، ط١. عمان: دارغيداء للنشر والتوزيع.

Abdul-Jabbar, A.(2012). Rejection in the Tree Sufferings Collection: Within the book Springs of Text and Aesthetics of Formation, Amman: Dar Refadaa'a Publishing House. [In Arabic].

Abu Al-Haija. O. (2022). Narrative collection of the poem family. Jordan: The Hashemite Jordanian Library. [In Arabic].

Al-Alaq, A.J.(2013). Visual Significance: Readings in the Poetry of the Modern Poem. 1st Edition. Amman: Dar Fadhaat. [In Arabic].

Al-Bustani, B.(2012). The effectiveness of language in Mahmoud Darwish's poetic vision. Amman: Dar Refadaat.

Al-Kubaisi, T. (2012). A Language for Waking and a Language for Dreaming: Within the book The Different Voice, Amman: Dar Refadaat. [In Arabic].

Al-Sheikh, S. (2012). Mirrors of the Wilderness: Cultural and Aesthetic Forces in the Poetics of Relationships: Within the book The Different Voice, by Ahmed Afifi, Amman: Dar Al-Ridaaat for Publishing and Distribution. [In Arabic].

Bil-Ali. A.(2012). Analyzing Sufi discourse in the light of contemporary critical approaches. Algeria:Hope Press. [In Arabic].

Bustani. B. (2012). The effectiveness of language in Mahmoud Darwish's poetic vision. Amman: Dar Fadhaat. [In Arabic].

Dabis, M.(2021). *"The poetic structure in the poem "There Is No One"* by Omar Abu Al-Hayja. Al-Dustour newspaper, pp. 4-6. [In Arabic].

Damour, I. (2016). The Rhythm of Visions in the Rhetoric of Duha by the poet Omar Abu Al-Haija, Al-Rai newspaper, pp. 12-15. [In Arabic].

Damour, I.(2017). *"The depth of vision in Omar Abu Al-Hayja's poetic experience*". Al-Dustour newspaper. [In Arabic].

Ghanem. F. (2012). The intertwining of arts in the poetic discourse of Bushra Al-Bustani. I 1. Amman: Dar Fadhaat for publication and distribution. [In Arabic]

Halliday, M. A. K & Hasan. Ruqaiy. (1976). Cohesion in English; London: Longman. [In Arabic].

Hilal, A & Bosnia, F. (2022). "The harmony of the marginal theme and the furnishing of the Sufi vision in the poem A Bell for the Underwater Heavens by Othman Loussif." Algeria: University of Blida. Al Modavana Magazine. Issue 2. pp. 269- 310. [In Arabic].

Lyons, J. (1981). Language and Linguistics: An Introduction; Cambridge: Cambridge University Press. [In Arabic].

Rababa. M.(2012). Semiotic interpretation mechanisms. I 1. Kuwait: Al-Mutanabi Library. [In Arabic].

Sulaitin. W. (2010). Rumi's flute in the epilogue of modern Arabic poetry: The flute only sings when it is empty. Iran: Semnan University, Journal of Studies in Arabic Language and Literature. Issue 1. pp. 63- 74. [In Arabic].

Tawil. Z (2022). "Writing with the body in Mosteghanemi's Dreams Trilogy: Memory of the Body, Chaos of the Senses and Passing the Bed." Journal of Problems in Language and Literature. Algeria: University of Tamangset. Issue 2. Volume 11. pp. 102-120. [In Arabic]

Zaid Salah. A. (2017). "Light and manifestations of Sufi love in the collection of the alphabet of the soul." Mayor Magazine. Algeria: Mohamed Boudiaf University of M'sila, No. 2, pp. 40-23. [In Arabic].

Zaitoun, A. M. (2012). Poetry, Book of Culture, 1st edition, Beirut: Dar Al-Awda. [In Arabic].